رُسمت فيها هذه الخلية . او يغلبها كما ترى عند الحرف ت فانهُ يدخلها واحدًا فيجدها ضعيفة فيتكاثر فيها من نفسه الى ان يتغلب عليها ويحلل مادتها ويتغذى بها . والظاهر ان الخلايا

الجديدة تكون قوية فتتغلب عليه وتفترسهُ الى ان يزول كلهُ والخلايا القديمة تكون ضعيفة فيتغلَّب عليها ويفترسها كما ان الشجرة الغضة تتغلب على الدوس وتميتهُ والشجرة الضعيفة تعجز عن مقاومته فيخرها ويميتها

الصابئة والصابئون

من مقالة للقس صموئيل زويمر قدمت الى جمعية فكتوريا الفلسفية

في المدن التي على ضفاف الفرات ودجلة قرب مصبهما كالمارة وسوق الشيوخ والبصرة والحمرة قوم يقال لهم الصابئون او المندائيون او نصارى مار يوحنا وهم يسمُّون انفسهم مندائين. لا يزيد عددهم الآن على اربعة آلاف او خمسة آلاف نفس وقد كانوا ولم يزالوا منفصلين عن اليهود والمسلمين والنصارى الذين ساكنوهم منذ قرون كثيرة. ولا يُعلَم الآن اصلهم بالتحقيق ولكن الذين بحثوا في ديانتهم ردُّوها الى ديانة بابل واشور القديمة وهي من اقدم الاديان الوثنية لان اساسها عبادة النجوم وفيها من الشعائر ما يفيد في البحث عن ديانة بابل القديمة ولذلك اهتممتُ بكتابة هذه المقالة راجيًا ان يجد فيها الباحثون شيئًا من الفائدة فان المندائية لا تقتصر على كونها الديانة الوحيدة المؤلفة من المسيحية والوثنية واليهودية كما قال كلر فيها بل هي تدلُّ على قدم انتشار المذاهب الدينية في المشرق وعلى ان كثيرًا مما ينسب الى مذهب الأدريين الاسكندري (غنوستك) هو من اصل بابلي

وقد ورد ذكر الصابئين او الصبئين في التوراة مطلقًا على ثلاثة من الشعوب المختلفة وهم ليسوا من الصابئين في شيء الاَّ ان يكون الصبئيون الذين ذكروا في سفر ايوب منهم . وورد ذكرهم صريحًا في القرآن حيث عدُّوا بين اهل الكتاب في قوله في سورة البقرة " ان الذين

آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وفي سورة الحج " ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد " . ومثل ذلك قوله في سورة المائدة . ويتضح من هذه الآيات ان الصابئين ليسوا فريقاً من النصارى بل انهم كانوا ممتازين عنهم من قديم الزمان

وذهب جسنيوس العالم اللغوي الالماني الى ان كلة صابئين مشتقة من صباووث العبرانية اي جند السماء دلالة على انهم يعبدون الكواكب . وذهب نولدكي الى انها مشتقة من صب الماء اشارة الى اعتمادهم بالماء لانهم يعتمدون كالنصارى. وقال غيره ان الديانة المسيحية اتصلت ببقية الكلدانيين فنشأ منهم مسيحيو مار يوحنا في البصرة وهم الصابئون . اما الاسمان اللذان يسمون انفسهم بهما وهما مندائي ونصوراي فسيأتي الكلام عليهما . وحسبنا ان نقول الآن انهم ليسوا من النصارى في شيء ولو اكرموا مار يوحنا المعمدان اكراماً دينياً (١)

وهم منفصلون الآن عن غيرهم من الطوائف تمام الانفصال ديناً ولغةً فلا يتزوجون من غير قومهم ولا يقبلون دخيلاً في ملتهم ويقتصرون من الحرف على الصياغة وتربية المواشي وبناء نوع من القوارب. وتراهم طوال القامة رجالاً ونساء حسان المنظر سمر الالوان لا يميزون في لباسهم عن المسلمين واليهود الساكنين لهم الاَّ في ايام الاعياد فانهم يلبسون البياض حينئذٍ . وتاؤهم لا يتحجبن وفي وجوههن امارات الترجُّل .والمميز الاكبر لهم لغتهم وديانتهم . اما لغتهم فبقاياها هذه القرون الطوال مع ما حلَّ باهلها من الفناء واما ديانتهم فلانها بمجمع الاضداد

وغنيٌّ عن البيان ان كل اهالي العراق يتكلمون العربية الآن في معاملاتهم ولذلك يتكلمها الصابئون وبعضهم يقرأها ويكتبها ايضاً ولكن لغتهم التي يتكلمون بها في بيوتهم مستقلة عن العربية وهي لغة كتبهم الدينية ويسمونها بالمندائية . وهي شبيهة بالسريانية ولكن حروفها غير الحروف السريانية وصرفها ونحوها مستقلاَّن ولا يفهمها المسيحيون الذين يتكلمون السريانية في الموصل . وقد قال الدكتور ريط ان كتابتهم تشبه الكتابة النبطية ولغتهم تشبه لغة التلمود البابلي . واقدم كتبهم الموجودة الآن تاريخ كتابته القرن السادس عشر للميلاد. لكن العصر الذي نبغ فيه كتَّابهم كان بين سنة ٦٥٠ و٩٠٠ للميلاد على ما قاله نولدكي .

(١) معنى الفعل صبأ يصبأ في العربية خرج من دين الى دين آخر كما تصبأ الجرح اي تخرج من مطالعها. قالوا والصابئون الخارجون من دين الى دين . اوهم جنس من اهل الكتاب وقبلهم هب الشمال عند منتصف النهار ونقل البيضاوي انهم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب

والصابئون الذين يقرأون لغتهم الآن قليلون ولكنهم كلهم يتكلونها ولا يعلمونها للغرباء الاَّ سرًّا . وقد حالفتهم منذ اربع سنوات وسنتهم مرارًا كثيرةً في اسفاري وسألتهم مرارًا عن حقيقة معتقدهم فلم أجب الجواب الشافي . ويدَّعي جيرانهم من المسلمين والنصارى ان قبلتهم نجم القطب وانهم يعمدون بالماء كل احد . وفي كتب السياح الذين ضربوا في بلادهم امورٌ متخالفة متناقضة عنهم وهي في الغالب بعيدة عن الصواب لكن جريدة الستندرد الانكليزية نشرت رسالة سنة ١٨٩٤ موضوعها صلاة عبَّاد النجوم يظهر ان كاتبها يعرف ديانة الصابئين تمام المعرفة ان لم يكن واحدًا منهم لانني ترجمتها لجماعة منهم فاندهشوا منها ولما رأوني عارفًا ببعض شعائرهم لم يصعب عليهم ان يطلعوني على البعض الآخر . اما الرسالة المشار اليها فيقال في اولها ما نصهُ

" ينزل عبَّاد النجوم الى ضفة النهر عند منتصف الليل رجالاً ونساء ويدخل كلٌّ منهم خيمة صغيرة مصنوعة من سعف النخل يدخلها من جهة الجنوب ويخلع ثيابهُ ويغتسل في حوض مستدير وحينما يخرج من الماء يلتحف برداء ابيض ويخرج الى امام الخيمة ويجلس على الارض ويسلم على الذين حولهُ بقولهِ " سود حويلغ " اي عليك البركة فيجيبونهُ " اسوتاه دهاي حويلغ "اي عليك بركة الواحد الحي. ويرفع كتابهم المقدس واسمهُ سدرا ربّا على المذبح ويأخذ الكاهن حمامة من حمامتين تقدمان لهُ ويمد بها يدهُ نحو نجم القطب الشمالي ويطلقها وهو يقول "بشمودحي ربّا مشبّا زيو قدميّة الاها ادمن نفحي ابراهي "اي بسم الحي مبارك هو النور الازلي النور القديم الاله الواجب الوجود لذاته . ثم يتحدثون الى ما يسمونهُ بالسر العالي فيضرم واحد منهم النار في كانون من الخزف بجانب المذبح ويطحن آخر قليلاً من الشعير ويعسر قليلاً من السمرج ويلت به دقيق الشعير ويجنهُ ويصنع منهُ اقراصًا صغيرة كانصاف الريال ويخبزها سريعًا ويأخذ واحد الحمامة الثانية ويذبحها وينقط اربع نقط من دمها على كل قرص من اقراص الشعير في شكل صليب ثم تقدَّم الاقراص الى الجمهور فيأكل كل واحد قرصًا منها ويسير الشماسة الى وراء المذبح ويحفرون حفرة صغيرة يدفنون فيها الحمامة المذبوحة "

واخبرني الصابئون ان هذا الوصف صحيح كلهُ فما اقربهُ الى رسوم الشريعة الموسوية . والظاهر انهم اقتبسوا كثيرًا من شعائر اليهود والمسلمين والنصارى وعندهم عبادة الكواكب وتقديم الذبائح وزجر الطير وكل ذلك ممزوج ومخلوط معًا فيطلقون الحمامة كما يُفعل في الشريعة الموسوية وقت تطهير الابرص ولكنهم يأكلون الدم الذي حرَّمتهُ الشريعة الموسوية وينظرون الى الكواكب وقت العبادة على ضد نصّها ويجعلون نقط الدم في شكل صليب ويتناولون الاقراص

تناولاً كانهم اقتبسوا ذلك عن النصارى مع مخالفة ما قبلهُ وما بعدهُ لشعائر النصرانية

وهم كتايون اي لهم كتاب ديني يسمونهُ الكنز او "سدرا ربا" اي الكتاب الكبير. ورأيت نسخةً منهُ فيها اكثر من خمس مئة صفحة كبيرة. ومن معتقداتهم المدونة في كتابهم هذا ان الفراغ العظيم (فوريا) وُجد اولاً ووُجد معهُ الاثير المنير وروح المجد او ملك النور وهي الثالوث الاول. ومن روح المجد انبثق الاردن العظيم ثم خلقت الحياة القديمة وهي معبودهم الحقيقي واليهِ يصلّون واليهِ يُسبّحون وقد صدر منهُ منذا حياه اي رسول الحياة وهو وسيطهم وكل الذين يقبلون وساطتهُ هم المندأون وصدر منهُ ايضاً اليوشميم وهذا حاول الترفّع على النور الاول فأُهبط الى الجحيم وهو متسلط الآن على عالم النور الاسفل

ويعتقدون ان منذا مقيم في حضن النور الازلي وقد تجسد مرارًا فظهر اولاً في هايل وظهر اخيرًا في يوحنا المعمدان. والظاهر ان هذا المعبود هو مرودخ الذي كان البابليون يحسبونهُ المولود الاول والوسيط والفادي

ويعدون كل الرجال المذكورين في التوراة انبياء كذبة ما عدا هايل وشيث. ويقولون ان المصريين الاقدمين اسلافهم وانهم كانوا يدينون بالدين الحق. وان السيد المسيح هو عطارد ظهر في جسد انسان وان يوحنا المعمدان ظهر قبل المسيح باثنين واربعين سنة وهو منذا نفسهُ متجسدًا وكان يعمد في الاردن وعمّد المسيح خطأً. وان ستين الفًا من جنود فرعون اتوا الى العالم منذ ١٧٠٠ سنة وقاموا مقام المنداثين الذين انقرضوا. ولعلهم يشيرون بذلك الى انتشار مذهب الادريين في ذلك الحين. ويقولون ان كاهنهم الاعظم كان يقيم في دمشق حينئذٍ (اي ان مركز ديانتهم كان بين الاسكندرية وانطاكية وهما مركزا مذهبي الادريين). ثم لما ظهر الاسلام لم يضرّ بهم فزادوا انتشارًا وكان لهم في ايام العباسيين اربع مئة معبد في بلاد بابل

وعندهم الآن كهنة لهم ثلاث رتب وهم التلامذة (ترميدا) والشمامسة (شكندا) ورئيس الكهنة ويسمونهُ كنزويرا اي حافظ الكنز وكان اسم رئيس كهنتهم السابق الشيخ يحيا وكان عالمًا بكتبهم وعمّر عمرًا طويلاً في سوق الشيوخ. واسم رئيس كهنتهم الحالي الشيخ سهن وهو مسجون الآن في البصرة

وعندهم ثلاثة اعياد كبيرة عدا يوم الاحد ومنها عيد غلبة هايل على عالم الظلمة وعيد غرق جنود فرعون. واعظمها كلها عيد المعمودية وهو يقع في الصيف وكل واحد منهم يعتمد فيهِ بالرش ثلاثًا في اليوم على خمسة ايام وذلك فرض لا بد منهُ. اما الاغتسال يوم الاحد فتقل لا

فرض . ويبيعون الضرار ولا يختنون وليس عندهم كنائس ولا معابد سوى المظال التي يبنونها ليلاً بجانب النهر وقت العيد ويهدمونها في اليوم التالي . ويكرمون المسيحيين من كل الطوائف لانهم يكرمون يوحنا المعمدان

اما اسمهم فصوراتي فتحريف كلمة نصارى او ناصرة نسبة الى طائفة الناصرة التي كانت في سورية منذ عهد طويل

روّاد الحضارة

اوردنا في الجزء الثاني من المجلد الثاني والعشرين الذي صدر منذ اثني عشر شهراً طرفاً من اخبار الدكتور سفن هدن الرحّالة الاسوجي الذي اخترق صحراء تركستان وما لقي من الاهوال فيها وهو صابر على العطش اياماً متوالية . وقد رأينا الآن فصلاً مثل ذلك في جريدة العالم للورس الرحّالة الافريقي وصف فيه ما لقيه في احدى صحاري افريقية الجنوبية من الجوع الشديد وصبره عليه اياماً قال

كانت جماعتنا كبيرة لانه انضمّ الينا كثيرون من ابناء البيداء مع شيخهم تنكرن وهو شهم مجرّب ربي في القفار وزاول الصيد والقنص كلّ ايامه وكان معه خمس مركبات ومعنا اربعة ونحن البيض اربعة انا وكولن وملّر وسل ولكل مركبة من مركباتنا ستة عشر ثوراً من ثيران افريقية لجرها في تلك الصحاري . وكان معنا ثيران غيرها وجملة الثيران ١٥٠ وكان معنا عشرة افراس اربعة لنا وستة للشيخ تنكرن . وكان امامنا مفازة طولها مئة ميل لا بدّ من قطعها ولم نكن نستطيع ان نسير فيها اكثر من ٢٥ ميلاً في اليوم فارحنا ثيراننا ثلاثة ايام . والثيران في تلك البلاد تجرّ المركبات اربعة ايام متوالية من غير ان تشرب اذا كان الفصل شتاء اذ تكون الليالي طويلة باردة وشمس النهار قليلة الحر واما اذا كان الفصل صيفاً لم تستطع ان تسير يومين من غير ماء . وكنا حينئذٍ في فصل الخريف آخر فصول السنة في تلك البلاد ما لم تقع فيه امطار غزيرة . واتفق ان المطر انحبس حينئذٍ وبلغ الحرّ درجة لا تطاق . وكان رمل الصحراء يحمى بُعيد شروق الشمس حتى يتعذّر على المرء ان يلمسه بيده او يلبس شيئاً من المعادن المعرّضة لاشعّة الشمس . والرمل ناعم مختلط بغوص فيه عجل المركبات فتثقل وتجد الثيران في جرّها مشقّة كبيرة ويثور الغبار من مشيها حتى يسدّ منافس الفضاء . واذا غابت الشمس بقي الحرّ يشعّ من الارض الى قُبيل الفجر وحينئذٍ يبرد الهواء وتنتعش الابدان